لَكِنْ هُنَاكَ حَالَاتٌ يَجُوزُ فِيهَا التَّفَاخُرُ وَهِيَ التَّفَاخُرُ أَمَامَ الشَّخْصِ المُتَكَبِّرِ. فَهَذَا التَّفَاخُرُ سُنَّةٌ، لِأَنَّ مِنَ الواجبِ أَنْ نُوَضِّحَ لِلْمُغْرُورِ أَنَّ تَصَرُّفَهُ هَذَا هُوَ تَصَرُّفٌ سَيِّئٌ، وَيَجِبُ أَنْ يَشْعُرَ بِشَنَاعَةِ هَذَا العَمَلِ. التَّوَاضُعُ أَمَامَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الأَشْخَاصِ يَزِيدُهُمْ غُرُورًا وَيَدْفَعُهُمْ إِلَى المَزِيدِ مِنَ التَّمَادِي. لِذَا، فَإِنَّ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ نُوَضِّحَ لَهُمْ حُدُودَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الخَيْرُ لَهُمْ.

أَمَّا التَّوَاضُعُ، فَهُوَ أَسْمَىٰ مَظَاهِرِ العِبَادَةِ لِلَّهِ. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ المِثَالَ الأَسْمَىٰ فِي التَّوَاضُعِ، فَقَدْ عَاشَ حَيَاةً بَسِيطَةً وَلَمْ يَرَ نَفْسَهُ أَبَدًا أَعْلَىٰ مِنْ غَيْرِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ "** **(مسلم، البر، 69)**

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ الأَعِزَّاءُ

إِنَّ التَّوَاضُعَ فِي عَلَاقَاتِنَا مَعَ النَّاسِ يَجْلِبُ لَنَا المَحَبَّةَ وَالاحْتِرَامَ. أَمَّا المُتَكَبِّرُ فَيَنْعَزِلُ عَنْ المُجْتَمَعِ. فَلْنَتَذَكَّرْ جَمِيعًا أَنَّنَا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ، وَفِي النِّهَايَةِ سَنَعُودُ إِلَى التُّرَابِ. لِذَا، يَجِبُ عَلَى الإِنسَانِ أَنْ يَتَذَكَّرَ هَذِهِ الحَقِيقَةَ وَيَبْتَعِدَ عَنْ الكِبْرِ وَيَجْعَلَ التَّوَاضُعَ مَرْكَزًا فِي حَيَاتِهِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ: **"وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"** **(الفرقان، 63)**

أَخْتِمُ خُطْبَتِي بِآيَةٍ كَرِيمَةٍ:

"سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ" (الأعراف، 146)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأعِزَّاءُ

مَوْضُوعُ خُطْبَتِنا اليَوْمَ هُوَ الكِبْرُ الَّذِي يَمْنَعُ الإِنسَانَ مِنَ الرُّقِيِّ الرُّوحِيِّ، وَالتَّوَاضُعُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَحْسَنِ الأَخْلَاقِ الَّتِي تُسَاهِمُ فِي هَذَا الرُّقِيِّ.

الكِبْرُ هُوَ أَنْ يَرَى الإِنسَانُ نَفْسَهُ أَعْلَى مِنَ الآخَرِينَ وَيَتَفَاخَرُ بِتَعَالِيهِ وَيَتَجَاوَزُ حُدُودَهُ. أَمَّا التَّوَاضُعُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الإِنسَانُ مُتَوَاضِعًا وَيَعْرِفُ عَجْزَهُ، وَيَكُونُ خَاضِعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَدْ حَرَّمَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكِبْرَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ وَقَالَ: **"وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا" (الإسراء، 37)**

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكِبْرَ بِأَنَّهُ سَبَبُ هَلَاكِ الإِنسَانِ وَقَالَ: **"لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ " (مسلم، الإيمان، 147)**

أَيُّهَا الإِخْوَةُ

إِنَّ الكِبْرَ لَا يُؤَدِّي فَقَطْ إِلَى حَقْرِ الآخَرِينَ، بَلْ يُؤَدِّي أَيْضًا إِلَى عِصْيَانِ اللَّهِ. فَقَدْ رَفَضَ إِبْلِيسُ السُّجُودَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَبَبِ الكِبْرِ، فَوَقَعَ فِي اللَّعْنَةِ الأَبَدِيَّةِ. أَمَّا الَّذِينَ يَتَفَتَّشُونَ عَنْ الشَّرَفِ وَالمَقَامِ فِي بِسَبَبِ الكِبْرِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا إِلَّا الذُّلَّ وَالمُهَانَةَ